

كلامه توالى فيها الجمل في إثر بعضها معطوفة بالواو ، وعدها مثالا للنظم في أدنى درجاته ، لأن العلاقات النحوية فيها محدودة ، فالتكلم بها أشبه بمن عمد إلى لآلٍ فخرطها في سلك واحد لا ينبغي أكثر من أن يمنعها التفرق^(١١٠) . فلم يتحدث الجاحظ إذن عن هذا الضرب من العطف ، ولم ينتصر له حتى يسوغ وصفه بما تقدم . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن تحديد المغزى من عطف المفردات في نسق معين وكشف دلالتها الفنية مرتبط ارتباطا جوهريا بمقام التعبير فقط ، وهذا أمر يسير التحقيق ، ولا يخضع لقاعدة معينة . ومن هنا يعد أمرا جزئيا يتعد بغز حصر ، ويمكن أن يمضى الدارس في تحليل العشرات من الأمثلة ، وتظل جزئيات مبعثرة لا تنتظمها قاعدة معينة ، ولم يكن هم عبدالقاهر تتبع مثل هذه الجزئيات ؛ وإنما تأصيل قواعد عامة للوصل بين الجمل بالواو أو الفصل بينها ، وهى عملية دقيقة وصعبة على نحو ما بينا . ثم إنه لا ينبغي أن يغيب عن البال أن « الواو » لمطلق الجمع ، وأن ترتيب المفردات المتعاطفة بها لا يكون وراءه دلالة فنية دائما .

ولا تعنى الإشادة بجهد عبدالقاهر في هذا السبيل أن القواعد التى استنبطها وتبناها البلاغيون من بعده قواعد جامعة مانعة ، وأنها فوق كل اعتراض ومراجعة فاللغة نشاط إنسانى معقد يتعلمر الإحاطة بكل أسرارها ، خاصة ما كان منها من قبيل اللغة الأدبية ، حيث تتداخل اعتبارات كثيرة في صياغتها . ومن الصعوبات التى يواجهها الدارس في هذا المقام التمييز أولا بين الجمل التى لا محل لها من الإعراب والجمل التى لها محل ، ثم البحث بعد ذلك عن دواعى الفصل بين الأولى والوصل بينها . إن عملية التمييز هذه لا تتأق بسهولة وبخاصة إذا أدركنا أن كثيرا من الجمل يمكن اعتبارها ذات محل من الاعراب بناء على توجيه معين ، ويمكن اعتبارها غير ذات محل من الاعراب بناء على توجيه آخر . وأكثر من ذلك أننا نجد في بعض نصوص من اللغة الأدبية بل في أرقى مستوياتها ، وهو القرآن الكريم - تمليح متماثلة جاءت بالفصل تارة وبالوصل تارة أخرى ، ففى سورة « الشعراء » نقرأ قوله تعالى : ﴿ قالوا إنما أنت من المسحورين . ما أنت إلا بشرٌ مثلنا فأت باية إن كنت من الصادقين ﴾ [آية ١٥٣ - ١٥٤) ثم نقرأ بعد ذلك ﴿ قالوا إنما

(١١٠) انظر دلائل الاعجاز ص ٩٦ وكتاى و الاتجاه الأسلوبى فى النقد الأدبى ص ٣٠ - ٣١ .